KnE Social Sciences
AICHS
Third International Conference on Human Science
Volume 2023

Research Article

الحوار في القرآن الكريم قصة نوح - عليه السلام - أُنموذجًا

Dialogue in the Holy Qur'an - The Story of Noah - Peace be Upon Him - as a Model

الأُستاذ الدكتور ظافر عكيدي فتحي الدهان

كلية العلوم الإسلامية / جامعة الفلوجة

الملخص

يقومُ هذا البحثُ على بيانِ أهميةِ الحوارِ وأثرِهِ في إقامةِ الحُجَّةِ وإظهارِ الأدلَّةِ التي تؤيدُ الحقَّ وتقرره، والدعوة إلى الحوار الهادي؛ لأنَّه هو مفتاح القلوب، فهو السبيل للوصول إلى الحقيقة عن طريق الكلمة؛ ولأنَّ الكلمةَ الطيبةَ سلاحُ المؤمنِ في أداءِ رسالتهِ النبيلة، سواء دعوة الناس إليها، أم الدفاع عنها، كما أنَّها سبيل الداعية في التعامل مع أمثاله من الدعاة، خاصة إذا تباينت الآراء واختلفت وجهات النظر. ولكثرة استخدام أُسلوب الحوار في القرآن الكريم، وما تضمنه من أسرار بلاغية إعجازية في دقائق اللغة، وما فيه من تحدٍّ من الظواهر البلاغية والنحوية التي لفتت أنظار العلماء القدامى والمُحدَثين.

الكلمات الرئيسية: الحوار، القرآن الكريم، نوح - عليه السلام.

Corresponding Author: Professor Dhafer Akidi Fathi El Dahhan; Email: dr.zaferal-ani@ uofallujah.edu.iq

Published 13 March 2023

Publishing services provided by Knowledge E

© Professor Dhafer Akidi Fathi El Dahhan. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution License, which permits unrestricted use and redistribution provided that the original author and source are credited.

Selection and Peer-review under the responsibility of the AICHS Conference Committee.

Professor Dhafer Akidi Fathi El Dahhan

College of Islamic Sciences/University of Fallujah

Abstract

This research is based on clarifying the importance of dialogue and its impact on establishing the argument and showing the evidence that supports and establishes the truth, and the call for guiding dialogue. Because it is the key to hearts, it is the way to reach the truth through the word. And because a good word is the believer's weapon in performing his noble message, whether inviting people to it or defending it, as well as it is the preacher's way of dealing with his likes of preachers, especially if the opinions and views differ. However, the frequent use of the method of dialogue in the Holy Qur'an, the miraculous rhetorical secrets it contained in the minutes of language, and the challenge of rhetorical and grammatical phenomena drew the attention of ancient and modern scholars.

OPEN ACCESS

Keywords: dialogue, the Holy Quran, Noah - peace be upon him.

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين..

لقد حرص العلماء قديمًا وحديثًا وتظافرت جهودهم على خدمة كتاب الله، فبدأت الجهود بتفسير مفرداته وما أشكل من عباراته، وتوضيح معاني كل سياق، والكشف عن بعض أسرار الأُسلوب القرآني من الألفاظ والمعاني محاولة معرفة جمالية المفردة القرآنية. ولقد تعددت الحوارات في القرآن الكريم، وتنوعت موضوعاتها ومضامينها، فمنها ما يتعلق بحوار الرسل مع أقوامهم، ومنها ما هو خارج نطاق النبوة، ولكل حوار أطراف، وقد يكون الحوار بين أكثر من طرف على أنْ تتوافر شروط الحوار بين المتحاورين، ومنها: العلم بموضوع الحوار، والتحلي بآدابه، ومعرفة أُصوله.

لذا قمتُ بدراسة الحوار في القرآن الكريم متخذًا من قصة نوح - عليه السلام -- أُنموذجًا للدراسة، وتضمن موضعين: الأول: حواره مع رب العزة، والثاني: حواره مع قومه.

وقد تضمن البحث أربعة مباحث، مسبوقة بتمهيد، ومختومة بخاتمة تضم أهم النتائج:

تضمن المبحث الأول: تعريف الحوار لغةً واصطلاحًا.

والمبحث الثاني: أهمية الحوار في القرآن الكريم.

والمبحث الثالث: أقسام الحوار في القرآن الكريم.

والمبحث الرابع: نماذج من الحوار لسيدنا نوح - عليه السلام .

ومن ثَمَّ الخاتمة، وأهم النتائج.

المبحث الأول

الحوار في اللغة والاصطلاح

الحوار لغةً: «الرجوع عن الشيء، وإلى الشيء، حارَ إلى الشيء، وعنه، حَوْراً ومَحاراً ومَحارَةً وحوؤراً: رجع عنه، وإليه... والحَوْرُ: الرُّجُوعُ. يُقَالُ: حارَ بعد ما كارَ. والحَوْرُ: النُّقْصَانُ بَعْدَ الزِّيَادَةِ لأنه رُجُوعٌ مِنْ حَالٍ إلى حَالٍ... وأحرتُ له حورًا،... والتَّحاوُرُ: التَّجَاوُبُ؛ وَتَقُولُ: كلَّمته فَمَا أَحار إِليَّ جَوَابًا وَمَا رَجَعَ إِليَّ خَويراً وَلَا حَوِيرَةً وَلَا مَحُورَةً ولا جِوَاراً حَوَاراً، أَي: مَا ردَّ جَوَابًا. وَاسْتَحَارَهُ أَي اسْتَنْطَقَهُ»(1).

وقال الراغب الأصفهاني: «الحَوْرُ: التّردّد إمّا بالذّات، وإمّا بالفكر،... والمُحاوَرَةُ والحِوَار: المرادّة في الكلام، ومنه التَّحَاوُر»(2).

وجاء في القاموس المحيط: «تحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم»(3).

وقال ابن فارس: « الْحَاءُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ ثَلَاثَةُ أُصُولٍ: أَحَدُهَا لَوْنٌ، وَالْآخَرُ الرُّجُوعُ، وَالثَّالِثُ أَنْ يَدُورَ الشَّيْءُ دَوْرًا».

وتعودُ أصل كلمة (حوار) إلى (الحَوْر)، وهو الرجوع عن الشيء.

وفي الحديث النبوي الشريف: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَمِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ(4)»(5).

قال تعالى: {إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ}(6)، أي: لن يرجعَ، وهم يتحاورون، أي: يتراجعون الكلام، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة(7).

والحور: «مَا تَحْتَ الكَوْرِ من العِمَامَة يُقَال: حارَ بعد مَا كَارَ، لأَنّه رُجوع عَن تَكْويرِهَا... والمحاورة: المجاوبة، وحاوره محاورةً، وحوارًا: جاوبه وجادله، والحوار: ولد الناقة ساعة تضعه»(8).

ووردت مادة (الحوار) في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، وهي:

قوله تعالى: {فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا}(9).

وقوله تعالى: {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا}(10). قال القرطبي في تفسير هذه الآية: «أي: يراجعه في الكلام ويجاوبه، والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب»(11).

وقوله تعالى: {وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }(12).

الحوار اصطلاحًا:

عُرِّفَ الحوار في الاصطلاح بتعريفات عدة، منها:

بانه: «مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين أو أكثر حول موضوع محدد، بصورة متكافئة، ويغلب عليه الهدوء في الوصول إلى الحق، والبعد عن التعصب والخصومة»(13).

وهذا ما نراه في الآيات السابقة التي وردت في القرآن الكريم.

وقيل: «نوع من الحديث بين شخصين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب»(14).

وقيل: «هو مناقشة بين طرفين- أو أطراف- بقصد تصحيح الكلام وإظهار حجة وإثبات حق، أو دفع شبهة، وردّ الفاسد من القول والرأي»(15).

وقد يكون الحوارُ غير متكافئ من حيث طرفاه حين يجري بين الله تعالى ومن كفر من عباده، إلى جانب العناية بالسياق، والموقف الذي تم فيه الحوار، وقد يكون وصفيًا، كقوله تعالى: {وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا}(16).

وفي ضوء كل ما تقدم، يمكننا القول بأنه أُسلوبٌ قرآنيٌّ يحكي محاورة كلامية بين طرفين أو أكثر، والهدف منه بيان معانٍ إسلامية محددة، تتضمن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله... .

المبحث الثاني

أهمية الحوار في القرآن الكريم

بعد أنْ تبين لنا معنى الحوار لغةً واصطلاحًا، فلقد ظهرت الحاجة إليه وضرورة استعماله، فإنَّ كل مسلم يسعى لنشر دعوته من خلال وسائل وطرق «فإنَّ وسيلته الأولى المتقدمة على غيرها وهي وسيلة الكلمة والحوار، ولأن الكلمة رسالة وأمانة، رسالة بمعنى يجب أنْ تقال وتؤدى، وأمانة بمعنى يجب أنْ تراعى فيها كل ما من شأنه أنْ يفي بأصولها، فالكلمة الطيبة سلاح المؤمن في أداء رسالته النبيلة، سواء دعوة الناس اليها، أم في الدفاع عنها وتفنيد الشبه المثارة حولها، كما انها سبيل الداعية في التعامل مع أمثاله من الدعاة، خاصة إذا تباينت الآراء واختلفت وجهات النظر ولذلك لا بد من دراسة الموضوع والعناية به وتأصيله»(17).

ولأهمية موضوع الحوار في القرآن الكريم، فلقد تناوله مجموعة من الباحثين بالدراسة والبحث، ومن هذه الدراسات على سبيل المثال:

1- دراسة محمد حسن فضل الله عام 1979 في كتابه (الحوار في القرآن الكريم قواعده وأساليبه ومعطياته)، فقد درس الحوار في القرآن الكريم، وبيَّنَ أهميته في عرض الدعوة الإسلامية، وبين آداب الحوار، وأطراف المتحاورين، وخلصت دراسته إلى أنَّ الحوار من أنجع الأساليب وأمثلها لحل المشكلات بين الأفراد، اذ تدور الحوارات ويبدي كل برأيه ووجهة نظره بعيدة عن الضغوط والأضواء الفاسدة.

2- دراسة إسماعيل علي محمد السامرائي، 1989 في (الحوار في القرآن الكريم)، وهي رسالة ماجستير ناقش فيها الحوار في القرآن الكريم من حيث كونه اسلوباً منهجيًا اتبعه القرآن الكريم للدعوة والامتناع.

3- كتاب اليوم الآخر في ظلال القرآن، للأُستاذ أحمد فائز عام 1994، ناقش هذا الكتاب أهمية الآخرة في التصور الإسلامي وأثرها في النفس الإنسانية.

4- كتاب (الحوار ورسم الشخصية في القصص القرآني) عام 1997 للأُستاذ عبد المرضي زكريا، ناقش فيه الحوار في القصص القرآني ودوره في بناء الشخصيات.

وهناك مؤلفات كثيرة لا يسعنا أنْ نذكرها هنا.

ومن هنا يتبين لنا معنى الحوار والمقصود به، ويمكن معرفة أهمية الحوار من خلال كثرة استعماله في الكتاب والسنة، وكثرة وقوعه بين الأنبياء، بل تكراره واستخدامه في التاريخ كله، فلا يخلو منه زمان ولم يستغنِ منه نبي ولا عالم ولا داعية، ويكفيه أهمية أنَّه قد ورد في القرآن الكريم بكثرة، ومنها على سبيل المثال إنكار قوم نوح عليه السلام حين قالوا ما ذكره الله عليه في قوله: { قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}(18). أي: حاججتنا فأكثرت من ذلك، ونحن لا نتبعك(19).

إنَّ الحوار في المشهد القرآني ليس عملاً فنيًا مستقلاً بموضوعه وطريقة عرضه كما هو الشأن في الأعمال الأدبية، بل إنَّ الحوار وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى تحقيق هدفه الأصيل، وهو تبليغ الدعوة وتثبيتها، مع أنَّ القرآن الكريم بإعجازه جمع بين الغرض الديني، والغرض الفني في آنٍ واحد، وجعل في الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، للوصول إلى الأهداف المراد تحقيقها، فمن أهداف الحوار هو الوصول إلى الحق والاعتراف به والخضوع له وإفساد الباطل ونفي الشبهة، والتراجع عن الخطأ، وينبغي أنْ يكون الهدف من الحوار الإخلاص في الوصول إلى الحق، وصدق النية لإرضاء الله تعالى وإعلاء كلمة الحق(20).

«ولا ينبغي أنْ يدخل الداعية في حوار ما لم يكن متأكدًا من أنَّ نيته لله عز وجل، متخلصًا من قصد الرياء والسمعة بعيدًا عن قصد الظهور على الخصم، ومن أهداف الحوار أيضا التواصل والتفاهم وتوضيح الفكرة والوصول إلى الحق والصواب من أجل تجاوز الخلافات وحل المشكلات والنزاعات وتمتين الروابط والعلاقات في جميع مناحي الحياة»(21).

المبحث الثالث

أقسام الحوار في القرآن الكريم

يمكن تقسيم الحوار في القرآن الكريم من خلال النظر إلى المتحاورين إلى خمسة أصناف، وهي:

1- الحوار يكون بين الله عز وجل وأحد من خلقه، كما في حوار رب العزة مع ملائكته في خلق سيدنا آدم عليه السلام قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ

بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ*}(22).

2- الحوار يكون بين المؤمن والكافر: كما هو الحوار بين الرسل مع أقوامهم، مثل ذلك حوار سيدنا هود -عليه السلام -- مع قومه، قال تعالى: { وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ }(23).

3- الحوار الذي يكون بين مؤمن ومؤمن، كما هو الحوار الذي دار بين موسى - عليه السلام -- والرجل الصالح (الخضر) - عليه السلام -- قال تعالى: { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا *قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا *قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا *قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا *قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا *فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا *قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا *}(24).

4- الحوار الذي يكون بين الكافرين، كما هو الحوار بين فرعون وحاشيته، قال تعالى: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ}(25).

وكقوله تعالى في تخاصم أهل النار: {وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ}(26).

5- الحوار بين الإنسان ونوع من الطيور: كما هو الحوار الذي دار بين سليمان - عليه السلام -- وبين طائر الهدهد، قال تعالى: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ* إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ *وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ*}(27).

المبحث الرابع

نماذج من الحوار لسيدنا نوح - عليه السلام -

اخترتُ نموذجين من حوار سيدنا نوح - عليه السلام - وهما:

1- **حوار الله تعالى مع نوح - عليه السلام -**، قال تعالى: {وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}(28).

«عندما ركب نوح - عليه السلام -- والمؤمنون السفينة، وحمل فيها معه زوجين اثنين من كل الأحياء ولما دخل السفينة قال: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ }(29) ، ولما أركب نوح - عليه السلام -- أتباعه المؤمنين في السفينة، وسارت السفينة وسط الأمواج، ونظر نوح فرأى ابنه الكافر من بعيد، فدعاه إلى ركوب السفينة، ولكنه أبى، وجرى الحوار بين الاثنين»(30).

فالمحاورة هنا بين الله تعالى وبين نوح - عليه السلام -- إذ نادى نوح - عليه السلام -- ربه أنْ ينجي ابنه الكافر من الغرق، ونجد أنَّ المحاورة اتجهت باتجاه الاسترحام، فمن وسعت رحمته كل شيء، وكذلك الاستعطاف من عفوه فاتجه السياق باتجاه الدعاء، وهنا نجد أنَّ نوح - عليه السلام -- ينادي ربه أنْ ينجي ابنه، فيقول تعالى: {رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي }، ونلاحظ أنَّ اسم الجلالة عُبِّرَ عنه بالوصف (الرب) مضاف إلى ياء المتكلم، وهو سيدنا نوح - عليه السلام -- وهذا تشريف للنبي نوح - عليه السلام -- وإشارة إلى رحمة الله له.

وقد أشار الزمخشري إلى هذه المحاورة، فقال: «نداؤه ربه: دعاؤه له ، وهو قوله: (رَبِّ)، مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية أهله. فإن قلت: فإذا كان النداء هو قوله: (رب) فكيف عطف (قال رب) على (نادى) بالفاء؟ قلت: أريد بالنداء إرادة النداء، ولو أريد النداء نفسه لجاء، كما جاء قوله: {إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً قَالَ رَبِّ} (مريم: 3) بغير الفاء»(31).

وإنَّ نوحًا - عليه السلام -- عندما نادى ربه فأعقب إرادته بإصدار النداء وهذا يدل على أنَّه أراد نداء ربه إلَّا أنَّه تردد به عندما عرف قوله تعالى: {إِلَّا مَنْ سَبَقَ عليهِ القولُ}(32). فلم يستطع أنْ يصبر على هذا التردد لأنَّه كان يملك عاطفة الأبوة في الشفقة على ابنه فأقدم على نداء الله تعالى، ولهذا قدم في بداية ندائه الاعتذار بقوله: (إنَّ ابني من أهلي) وهذا الاعتذار خبر استعمل في التمهيد والاعتذار لأنَّه كان يريد أنْ يسأل سؤالاً من الله تعالى لا يعلم أنَّه سيقبل ام لا؟ ولكنه اقتحمه لأنَّ المسؤول له من أهله فله عذر الشفقة عليه، وللزيادة في الاهتمام بهذا السؤال لربه أكد الخبر بـ(إنَّ)، وكذلك جملة (وإنَّ وعدك الحق) جاءت مؤكدة أيضا بـ(إنَّ) إذ إنَّ نوحًا - عليه السلام -- يعلم أنَّ وعد الله حق لا يخلف الله فيه(33).

أمَّا قوله تعالى: {وأنتَ أحكمُ الحاكمين} فيعني به: أشد الحاكمين حكمًا، ولا يوجد حكم كحكم الله تعالى واسم التفضيل (أحكم) يدل على أنَّ حكمه لا يبطله احد(34).

ثُمَّ يرد الله تعالى على نبيه نوح - عليه السلام -- ويقول: (قال يا نوح إنَّهُ ليس من أهلك) ونلاحظ أنَّ فعل القول (قال) في رد الله تعالى إنَّ ابنك يا نوح ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم؛ لأنَّه كان من الكفار وأكد الله تعالى رده بـ(إنَّ) ليدل على الاستغراب، ثُمَّ ينهي الله تعالى النبي نوح - عليه السلام -- من أنْ يسأل ما ليس له به علم، وهذا النهي نهي عتاب، وتصل المحاورة إلى قوله تعالى: {إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}، دليل على ملاطفة الله تعالى لنوح والإكرام والموعظة(35).

وقول نوح - عليه السلام -- {إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ}(36) والذي جعل نوح - عليه السلام -- يقول هذا وعد الله تعالى له بنجاة اهله، لكن الله تعالى بيّن لنوح - عليه السلام -- أنَّ ابنه ليس من أهل دينه(37).

2- حوار نوح - عليه السلام -- مع قومه:

قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ }(38)

وهنا إخبار من الله تعالى أنَّه يبعث نوحًا رسولاً إلى قومه، وهو يطلب من قومه عبادة الله وحده، ولا يدخر وسعًا في سبيل دعوة قومه إلى عبادة الله تعالى دون سواه، وهنا يدور الحوار بين نوح - عليه السلام -- وبين قومه المشركين، محاولاً فيه نوح - عليه السلام -- أنْ يهديهم إلى سبيل الهدى والتوحيد، مع ملاحظة أنَّه بدأ حواره معهم بلفظة (يا قوم) هي دلالة على التحبب والترقيق ليهتدوا، ومن ثَم بين أنَّه خائف عليهم من عذاب الله وسخطه بهم(39).

وما كان الجواب من قومه إلَّا بأنهم اتهموه بالضلال، و(الملأ) في قوله تعالى: {قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}(40)هم أشراف القوم وساداتهم(41)، وأمَّا الرؤية في قوله تعالى (لنراك) فإنَّما هي رؤية القلب، ونجد أنَّ نوحًا - عليه السلام -- عندما ردَّ عليهم، قال: {يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ}(42)، ولم يقل (ضلال) كما هم قالوا، وذلك لأنَّ الضلالة أخص من الضلال، فكانت أبلغ في نفي الضلال(43)، وجاء لفظ الضلالة مصدراً وذلك لينفي عن نفسه الضلال نفيًا مطلقًا(44).

ومن الجدير بالذكر فإنَّ المحاورة التي جرت ما بين سيدنا نوح - عليه السلام -- وقومه احتوت على معانٍ بلاغية أعطت الأُسلوب القرآني رصانة عجيبة، ومعاني عميقة، وذلك من خلال أُسلوب (المجاز المرسل) في قوله تعالى: { إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} وقوله تعالى: {يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ}، يقول محيي الدين درويش: «فقد جعل الضلال ظرفا والضلال ليس ظرفا يحل فيه الإنسان. لأنه معنى من المعاني، وإنما يحل في مكانه فاستعمال الضلال في مكانه مجاز مرسل أطلق فيه الحال وأريد المحل، فعلاقته الحاليّة، وفائدته المبالغة في وصفه بالضلال وإيغاله فيه، حتى كأنه مستقر في ظلماته لا يتزحزح عنها. وزادوا في المبالغة بأن أكدوا ذلك بأن صدّروا الجملة بأن وزادوا اللام في خبرها»(45).

«قوله: «ليس بي ضلالة» للإطاحة بما زعموه، وتفنيد ما توهموه، وهو من أحسن الرد وأبلغه وأفلجه للخصم، لأنه نفى أن تلتبس به ضلالة واحدة، فضلا عن أن يحيط به الضلال، فلم يقل: ضلال، كما قالوا، كما يقتضيه السياق»(46).

وقوله تعالى: { أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}(47)، فجاء قوله تعالى بصيغة الجمع (رسالات) ولم يقل (رسالة) يدل على أنَّه غير تارك التبليغ، وهذا إصرار منه رغم تكذيبهم له، والتبليغ: هو جعل الشيء يصل إلى مكان معين، وهو هنا استعارة للإعلام بالأمر المعين، فكأنه ينقل من مكان إلى مكان آخر، وقوله (أعجبتم) هو استفهام إنكاري، لأنَّهم لم يصدِّقوا أنَّه رسول من الله أساسًا؛ لأنَّهم يظنون أنَّه بشر مثلهم، كما قالوا سابقًا، ولم يقولوا (لا عجب) ليدل على ما يتبرر به ظن العاقل بالعقلاء، ونكَّرَ (ذكر، رجل) للنوعية لا للخصوصية، فالذكر هو ذكر الله أينما كان، والرجل هو تقريبه لهم؛ لأنَّه منهم(48).

وهكذا يتبين لنا الحوارات والأساليب المستخدمة في حوارات نوح - عليه السلام -- (فمن أُسلوب الترغيب إلى أُسلوب الترهيب، إلى أُسلوب البرهان، إلى الدعوة في كتمان ثُمَّ في إعلان، إلى الدعوة في الليل، إلى الدعوة في النهار)(49).

الخاتمة وأهم النتائج

1- يعدُّ الحوار وهو نوع من أنواع الحديث أهم أُسلوب يستخدمه المتحدث، والذي يدور بين شخصين أو أكثر، ويتم التداول في الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة.

2- إنَّ القرآن الكريم يهتم اهتمامًا بالغًا بالحوار، واختار التعبير عن المعاني التي يراد إثباتها في ذهن المتلقي، فنقل له الأفكار والمعاني بصورة حسية.

3- تميز الحوار القرآني على أنَّ الأنبياء حاوروا أقوامهم في عبادة أصنامهم، ولفتوا أنظارهم إلى وحدة التأمل والتدبر.

4- الحوار القرآني له ميزة خاصة، فهو يربي العقول على سعة الأفق وحب الاطلاع.

5- إنَّ الدين الإسلامي قد أباح الحوار وطرقه بالتي هي أحسن مع غير المسلمين.

6- يتبين لنا دور الحوار في التأثير في النفس، وإثارة المشاعر والأحاسيس، ولذلك نجد في الحوار المادة الغنية في إثارة العقل والعاطفة والمشاعر الإنسانية.

7- إنَّ عملية الحوار تتطلب جملة من القواعد والضوابط، ومنها الاحترام بين الطرفين المتحاورين، وضرورة توفير الحماية الفكرية عند إجراء الحوار إذا أردنا أنْ ينتهي الحوار بطريقة منطقية.

8- التجرد في الحوار وإخلاص النية لله تعالى.

9- لغة الحوار تكون أحيانًا مؤثرة بالآخرين أكثر من لغة العنف.

10- الحوار في القرآن الكريم دليل واضح على أنَّ الأنبياء جاءوا بكلمة واحدة، وهي إعلاء كلمة لا إله إلَّا الله، وقضية واحدة هي عبادة الله وحده.

11- يعدُّ الحوار من الضرورات العصرية، فهو في هذا العصر الذي أضحى العالم فيه مع تنائي الديار، وتباعد الأقطار كالقرية الصغيرة، فأصبح الحوار ضرورة تفرضها علينا تلك الثورة الهائلة التي لم تكن تخطر على بال.

المصادر والمراجع

1- الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود، 1403هـ- 1983م: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر- بيروت.

2- أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم، د.ط، لسان العرب، دار صادر- بيروت.

3- أبو القاسم، الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502 ه)، 1412هـ: المفردات في غريب القرآن، ط/1، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم- دمشق.

4- ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597 ه): زاد المسير في علم التفسير، ط/1، خرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت.

5- ابن حميد، صالح بن عبدالله، 1420هـ- 1990م: معالم في منهج الدعوة، ط/1، دار الأندلس الخضراء، جدة.

6- ابن حميد، صالح بن عبدالله، 1994م: أُصول الحوار وآدابه في الإسلام، ط/1، دار المنارة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.

7- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393 ه)، التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر- تونس.

8- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا (ت: 395 ه)، 1399هـ- 1979م: معجم مقاييس اللغة، د. ط، د.ت، دار الفكر.

9- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن كثير الدمشقي (ت: 774 ه)، 1420هـ- 1999م: تفسير القرآن العظيم، ط/2، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع.

10- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت: 256 ه)، 1987م: صحيح البخاري، ط/1، دار القلم- بيروت.

11- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: 685 ه)، 1418هـ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، ط/1، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

12- الجوهري، إسماعيل بن حمادي (ت: 400 ه)، 1404هـ- 1984م: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط/3، دار العلم للملايين- بيروت.

13- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، 1419هـ- 1998م: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل، ط/1، دار القلم- دمشق.

14- الدرويش، محيي الدين الدرويش، 1422هـ- 2003م: إعراب القرآن الكريم وبيانه، ط/9، دار ابن كثير- دمشق.

15- ديماس، محمد راشد، 1420هـ- 1999م: فنون الحوار والإقناع، ط/1، دار ابن حزم.

16- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، جار الله (ت: 538 ه)، 1407هـ: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (تفسير الكشاف)، ط/3، دار الكتاب العربي- بيروت.

17- الزمزمي، يحيى بن محمد، 1994م: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، د.ط، دار التربية والتراث.

18- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817 ه)، 1426هـ- 2005م: القاموس المحيط، ط/1، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة- بيروت، لبنان.

19- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي، شمس الدين (ت: 671 ه)، 1382هـ- 1964م: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، ط/2، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة.

20- المدائني، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت: 656 ه)، الفلك الدائر على المثل السائر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.

الرسائل الجامعية:

1- أثر السياق في أساليب الحوار القرآني دراسة بيانية (رسالة ماجستير)، للطالبة زمن حسن محمد عرسان الزوبعي، كلية الآداب- الجامعة العراقية، 1434هـ- 2013م.

2- الحوار في القرآن الكريم (رسالة ماجستير) للطالب معن محمود عثمان ضمرة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2005م.

(1) ينظر: لسان العرب: 4/ 218 مادة (حور).

(2) المفردات في غريب القرآن: 142.

(3) القاموس المحيط: 487.

(4) الكَوَر: لفُّ العمامة، والحَوَر: نقضها، وقيل: هو من الإيمان إلى الكفر، ومن الطاعة إلى المعصية. ينظر: لسان العرب: 4/ 218 مادة (حور).

(5) سنن الترمذي: أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَاب مَا يَقُولُ إِذَا خَرَجَ مُسَافِرًا: 5/ 374، رقم الحديث (3439)، وقال عنه الإمام الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(6) سورة الانشقاق: الآية: 14.

(7) ينظر: لسان العرب: 4/ 218 مادة (حور).

(8) ينظر: الصحاح للجوهري: 2/ 640، مادة (حور).

(9) سورة الكهف: الآية: 34.

(10) سورة الكهف: الآية: 37.

(11) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 10/ 403.

(12) سورة المجادلة: الآية: 1.

(13) الحوار آدابه وضوابطه في الكتاب والسنة: 6.

(14) فنون الحوار والإقناع: 11.

(15) معالم في منهج الدعوة: 212.

(16) سورة الكهف: الآية: 29. وينظر: الحوار في مشاهد يوم القيامة في القرآن الكريم: 18

(17) أصول الحوار وآدابه في الإسلام: 5.

(18) سورة هود: الآية: 32.

(19) تفسير ابن كثير: 4/ 914.

(20) ينظر: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: 130.

(21) الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة: 131.

(22) سورة البقرة: الآيات: 31- 33.

(23) سورة الأعراف: الآية: 65.

(24) سورة الكهف: الآيات: 60- 82.

(25) سورة غافر: الآية: 26.

(26) سورة ص: الآيات: 62- 63.

(27) سورة النمل: الآيات: 20- 25.

(28) سورة هود، الآيتان: 45- 46.

(29) سورة المؤمنون: الآيتان: 28- 29.

(30) تفسير الآلوسي: 12/ 59.

(31) الكشاف: 2/ 398؛ وينظر: أثر السياق في أساليب الحوار القرآني: 50.

(32) سورة هود، الآية: 40.

(33) ينظر: التحرير والتنوير: 12/ 84.

(34) ينظر: المصدر نفسه: 11/ 270.

(35) ينظر: تفسير البيضاوي: 3/ 163؛ وأثر السياق في أساليب الحوار القرآني: 51.

(36) سورة هود، الآية: 45.

(37) زاد المسير لابن الجوزي: 4/ 113؛ وينظر: الحوار في القرآن الكريم: 33.

(38) سورة الأعراف، الآية: 59.

(39) ينظر: التحرير والتنوير: 8/ 145.

(40) سورة الأعراف، الآية: 60.

(41) الكشاف: 1/ 108.

(42) سورة الأعراف، الآية: 61.

(43) ينظر: الكشاف: 2/ 113؛ وأثر السياق: 79.

(44) ينظر: الفلك الدائر على المثل السائر: 4/ 238.

(45) إعراب القرآن وبيانه: 2/ 571.

(46) ينظر: المصدر نفسه، والكشاف: 2/ 108.

(47) سورة الأعراف، الآية: 63.

(48) ينظر: التحرير والتنوير: 5/ 418- 419.

(49) القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث: 1/ 167.